الآثار القديمة الشرقية

(٣) آثار جبيل المكتشفة الاخيرة

كانت مدينة جبيل اللبنانية فينيقية على شاطئ البحر الرومي قديمة العهد يحج اليها الوثنيون لزيارة هياكلها ولا سيما عبادة ادونيس اي تموز في العينه وعشتروت اي الزهرة في أفقا من ضواحيها فسمي نهر ابرهيم بنهر ادونيس وهناك كانت تجري الاحتفالات المعروفة عندهم .

ولما انتصرت المسيحية على الوثنية حتى القرن الخامس للميلاد وذلك بزمن الملكين قسطنطين وثاودوسيوس الكبير حطموا تماثيلها وقوّضوا هياكلها استئصالاً لشأفة الوثنية الممتدة في تلك الانحاء .

ولما ملكها الرومان كانوا قد شيدوا في جبيل هياكل كثيرة منها الهيكل الكبير الذي يرجح بعض الاثريين ان موقعه كان في اعلى البلدة الى جهة بيروت حيث ظهر في خريف سنة ١٩٠٣ م تمثال ابيض مجنح لنبتون اله البحر وهو يحمل عصا فيها شوكة مثلثة على جنبه او ملتفة عليها افعى وقربه دلفين في فمه سمكة وتلك الرموز هي شارته المعروفة عند علماء الآثار . ولعل هذا التمثال مما اخفي عن عيون المسيحيين فلم يحطموه مثل كثير غيره مما حطموه او شوهوه لكثرة تنكيلهم بالآثار الوثنية . ولهذا قلما تجد في جبيل وما يجاورها تماثيل سالمة .

وبقي في مدينة جبيل هذه اطلال ابنية ضخمة منها قلعتها الشامخة وكنيستها الصليبية وغيرهما مما ذكره العلامة رنان الفرنسي وهو الذي بدأ بحفر آثارها ووصفها في كتابه (بعثة فينيقية) وكتب عنها غيره من الاثريين ووصفوا اطلالها وعادياتها مما ربما عدنا الى تفصيله في فرصة أخرى .

وسنة ١٩٠٨ م اكتشفت في جبيل قطعة من تمثال هرمس اله الطرق والمسافرين والتجارة عند اليونانيين ورسول جميع الآلهة . وقد بقي رأسه وجزء من صدره فقط ولعله من ايام السلوقيين خلفاء الاسكندر .

وفي خريف سنة ١٩٢١ م باشر المسيو ثيرولو *Virolleaud* مستشار دائرة الآثار القديمة في المفوضية العليا في بيروت الحفر في اول طريق جبيل فظهرت له آثار شارع مرصوف بالحجارة

وعلى اثر ذلك عثر المسيو پير مونته *P. Montet* في حفرياته بين قلعة جبيل والبحر على اوان كثيرة من المرمر الابيض وقد قرأ على احدها بالهيروغليفية (لغة مصر القديمة) اسم (هوناس) احد الفراعنة من الاسرة الخامسة المصرية . فأيد اكتشافه هذا رأي الاثريين الذين ذهبوا الى توغل الفراعنة المصريين في سورية وتملكهم عليها منذ القديم ونشر ديانتهم فيها . وظهر له كثير من الآنية النحاسية والبلورية والنقود الذهبية اشبه بما كان يوضع في هياكل المصريين ايضاً . واستنتج من الكتابة الهيروغليفية انهم شيدوا هيكلاً فيها لايزيس معبودتهم [1] واكتشف الاب سپستيان رونزفال اليسوعي مذبحاً للزهرة تبكي وبقربها اوزيريس بشكل الاجسام المصرية المحنطة وعلى صدره صولجان وذلك في بلدة قصوبة قرب جبيل . واستنتج ان اسرار ادونيس (تموز) كانت تقام على تل يشرف على جبيل ايضاً . فضلاً عما ظهر للدكتور جول روثيه وغيره من الباحثين .

وكان في السنة الثانية للحرب العامة قد ظهر في جبيل ناووس حجري كبير طوله نحو مترين بعرض ثلاثة ارباع المتر الى غربي القلعة على مقربة من البحر وفيه جثة بالية على وجهها

(١) ظهر لي من تحليل بعض الاسماء القديمة تسميات اماكن كثيرة باللغة المصرية في تلك الجهات فليس ببعيد ان يكون اسم (الفتوح) في كسروان تحريف كلمة پتاح او فتاح الاله المصري وفي درج نهر الكلب لقدمة لهذا الاله تؤيد هذا الرأي . ونهر (الموت) باسم (موت) الاله المصري او الفينيقي . وهناك قرى باسماء آلهة يونانية مثل (طاميش) لارطاميس و (بلونة) لا بلون و (غينه) للزهرة . وباسماء لاتينية مثل (غسطا) لاوغسطه و (برقطا) اي بروبكتا بمعنى شلالة . وبغيرها مثل (بيروت) بيت روت نسبة الى الروتيين اخوة الآراميين وروت المصرية هي لود السامية الى كثير مما ربما عقدت له فصلاً خاصاً . ولقد اشار الى شيء من ذلك رنان وذكره احمد بك كمال في كتابه (العقد الثمين) ص ١٩٢ ايضاً .

سفيقة *Masque* وعلى غطائه المنحوت باتقان تمثال الميت نائمًا يمثل امرأة يونانية هي دلينة الناووس فنقل هذا الغطاء الى دمشق وهو الآن في متحفنا العربي فيها على يمين الداخل الى قاعة التماثيل في الرواق الخارجي وحجره ابيض اشبه بالرخام ضخم جميل النقش متقنه من عهد السلوقيين . وفي معرض مرسيلية المقام منذ مدة لآثار سورية نصب فينيقي من القرن الخامس قبل الميلاد يمثل ملك جبيل ايشاشميلل واقفًا امام بعلة جبيل يقدم لها كوباً عظيماً وهو مما اكتشف فيهـا في السنة الماضية وقد وقف على بعضها الاب رنزفالـــ ورسمها وبينهـا قطعتا نصبين احدهمـا لرعمسيس الثاني والآخر لتحوتمس (طوتميس) الثـالث . وقطعة ثالثـة تمثل تقدمة مصري للالهة (بنت) سيدة جبيل .

واكتشف في جبيل ايضًا بضعة نواويس احدها موجود الآن في مغارة رمل عين ياسمين . والآخر قربها ... الخ . وصباح الخميس في ١٦ شباط ١٩٢٢ م انهار جانب من الارض التي في جوار اسكلة جبيل غربي قلعتها في آخر المدفن قرب سور المدينة في محلة (قبة بنت الملك) الملقبة بالشامية وهي على علو عشرين متراً فتدحرجت الصخور الى البحر وظهر في سفح تلك الرابية مغارة بابها صخري علوه نحو متر ين وعرضه متر يطل على دهليز عميق يتغلغل تحت الجبل وعلى بضعة امتار من المغارة داخل الدهليز ناووس من الحجر المصري وتلك المغارة تبعد عن الشاطئ نحو ثمانية امتار .

فبادر المسيو ڤيرولو المذكور آنفًا وفتح الناووس فوجد فيه بعض آثار وآنية مختلفة الاشكال من الرخام الابيض والخزف والشبه (البروتز) وبينها حلية اشبه بالحية شكلاً وصحيفتان شكل كل منهما كالباشق وذلك من الرموز المصرية [1] . وكتابة

(١) اتخذ المصريون الحية عن الكنعانيين فصوروا معبودهم الاكبر «كينان» اي مهندس الكون بصورة حية في فمها بيضة والمعبود «طوث» وهو الاله الشفاء بصورة حية تعض ذنبها . وصوروا المعبود «هيجيا» وعلى عنقها حية تشرب من كأس في يدها . والمعبود «ايزيس» بصورة حية الى كثير من هذه الرموز الغريبة واما الباشق فرمزوا به الى آلههم «حُوْر» وهو ابولون عند اليونان وكان معبده العظيم في مدينة «دب» المعروفة الآن بادفو في القطر المصري واعلى هيكله كان في قرية «عين حور» من وادي الزبداني في سورية

قصيرة فيها خمس علامات هيروغليفية على طرف كأس كانت موضوعة على صدر الميت داخل تابوته اما رفاته فلا أثر له ولكن ظهرت رقاع من كسائه وآنية مدفونة بقربه على عادة تلك الايام .

وعلى زوايا غطاء التابوت الاربع نواتئ اشبه بالفطر وحجره ابيض من مقاطع جبيل وقد حطمت احدى نواتئه مع زاوية الغطاء طلبًا لما فيه من الكنوز على زعمهم .

ولعلّ هذا الرمس هو قبر لكاهن هيكل « ايزيس » الذي اكتشف آثاره منذ شهرين المسيو مونته قرب صخور جبيل كما مرّ آنفًا .

وفي المغارة رمس ضخم يكاد يملأها كبرًا ولذلك يرجح انه انزل اليها من نافذة في السقف .

ولما فتح التابوت بقيت المغارة بلا خفير فنقب فيها بعض الاولاد الذين اختلفوا اليها لمشاهدتها فوجدوا ثقبًا يوصل الى شعب فيها فدخلوه فوجدوا هناك آثارًا خزفية مثل اباريق وآنية مختلفة . ووجد على مقربة من التابوت آنية خزفية ايضًا منها جرّتان اشبه بجرار المصريين وثلاثة غطية كأنها المعاجن « الفخارية » الشائعة عندنا .

وظهر في التابوت بضع صفائح من الخزف وآنية خزفية محطمة وقطعة نحاسية عكفاء الرأس كالفأس ومقبضها من خشب ولها سوار ذهبي كأنها من اسلحة ذلك العهد . وقطع اخرى من النحاس .

فكان هذا التابوت من اكبر ما اكتشف من نوعه طوله نحو مترين وثلاثة ارباع وعرضه نحو متر ونصف وارتفاع غطائه نحو ثلث متر .

فاعتنت الحكومة بعمل باب خشبي لتلك المغارة ووكلت حفارتها الى مدير تلك الناحية حفظًا لها من عبث ايدي الجهلة بها[1]

عيسى اسكندر المعلوف

« ١ » ولقد اخبرني صديقي العلامة الاثري المسيو لوري ان ادارة الآثار لتنقل ما كان منها غير اسلامي و يمكن نقله الى دائرة البلدية في بيروت (امام ساحة السمك حيث المكتبة العامة) لحفظها في متحف هناك والآثار الاسلامية لتنقل الى دار آل العظم في دمشق لتعرض فيها مع غيرها مما يجمع هنا .